

—o— تقويض مُعتَمَد قديم —o—

او تفصيل هول عظيم

بقلم حضرة الكاتب الاريب يوسف افندي البستاني

احد منشي حريده الاهرام الغراء

قام في اوهام المؤرخين والكتاب وفلاسفة الاخلاق والطبائع معتقداً
راسخ باع من الافكار مبلغ الحقيقة الراهنة حتى عد من يعارضه جاهلاً
غافلاً في مذهب جميع الاوربيين على اختلاف النزعات والطبقات
وذلك المعتقد الماثور هو ان الشرقي اضعف عزماً وعقلاً وادنى خُلقاً وطبعاً
من الاوربي . ولقد وفق أهل هذا المذهب الى براهين قوية يفحمون
بها المعترضين وما هي بالبراهين التي يمكن انكارها لانك لا تلتفت التفتاة
الى تواريخ الأمم حتى يقع نظرك على ذكر اعمال عظيمة واختراعات جليلة
وتأليف طالحة بفراند القوائد لعظماء اوربا فلا يبقى في وسع المنصف الا
أن يقر لهم بالفضل والتقدم . واذ كان هناك ما يستحق الاعتراض في
ذلك المذهب فانما هو مغالاة الاوربيين في الاستهانة بالشرقيين وتشهير
انحطاطهم والقول بان الارتقاء الى درجة الاوربي مستحيل عليهم . واني
اذكر كما يذكر كثير من المطالعين ان معظم جراند اوربا قامت تهزاً
بالانكليز يوم حالفوا اليابان وتقول ان أبناء التاميز ادركهم الهلع لما رأوا
انفسهم فيه من العزلة فالتفتوا يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً فلم يجدوا الا اولئك
القرم الصفر الشرقيين . وذلك ان الصيني والياباني والسيامي وسائر ذوي
الجلدة الصفراء كانوا يعدون انزل مقاماً واصغر نفوساً عند معظم الاوربيين

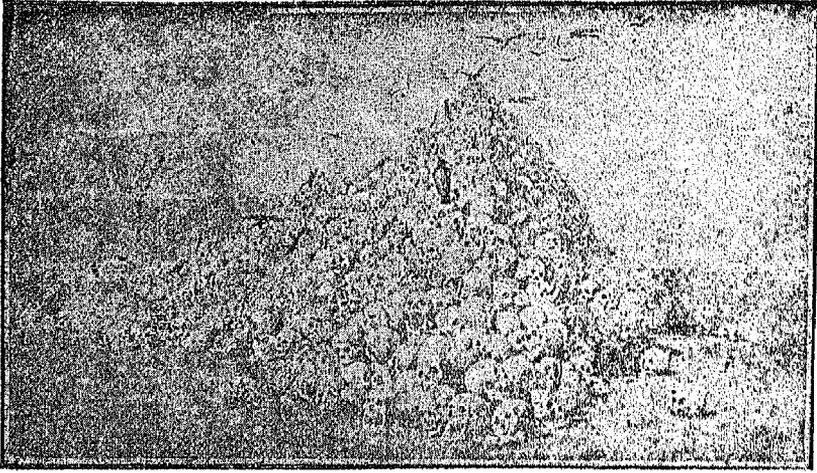
من سائر الشرقيين البيض . ولما وقف الامبراطور غليوم الثاني منذ بضع سنوات وقال « حذارٍ من الخطر الاصفر » ضحك اكثر الكتاب ملء الاشداق وقالوا « ان جلالته في اضغاث احلام »

اما اليوم فان اشدّ القوم مغالاةً في القول بأخطا الشرقي قد بدلوا من خطتهم ولطفوا من لهجتهم لان الحرب الروسية اليابانية اتتهم بما لم يكن في الحسبان ودلتهم على ان الشرق لا يستحيل عليه ان يثبت عقولاً كبيرة ونفوساً عالية وعزائم تقروض الرواسي . ولقد صدق منشيء الفيجارو في قوله « اذا كان المؤرخون العصريون يريدون ان يجرؤوا على سنن رصفآتهم القدماء فن الصواب ان يجاؤوا معركة موكدن او معركة تسوشيما بدآة عصر تاريخي جديد كما جعل الذين قبلهم فتح الآستانة سنة ١٤٥٣ فاتحة التاريخ الملقب بالحديث وخاتمة تاريخ القرون المتوسطة لان السيادة المطلقة التي نالتها اليابان في بحار الشرق الاقصى بل في ذلك الشرق كله ستفضي الى نهضة عامة في ذلك الجزء الكبير من العالم فترى عاجلاً او آجلاً اولئك الصينيين جنوداً بارعة تحت إمرة قواد يابانيين شهد لهم السيف مع العالم كله واذا كان من المستحيل عليهم ان يتسلقوا اسوار بطرسبرج او باريس فقد سهل عليهم ان ينظروا الى الشرق الاقصى كله نظرة السيد الاكبر » . اه . فحسب اليابان مجداً وشرقاً ما بلغوه بهذه النهضة الكبرى وعلى ذلك الحلم الذي حلمته اوربا بتقسيم ذلك الشرق السلام

*
* *

وهنا يقف المتبصر هنيهةً والقلب كعصفورٍ في قفص حين يفكر

في تلك الالهوال التي ركبتها اليابان وخطت عليها لنيل ذلك المجد ومحو ذلك
الحلم ولا نرى شيئاً ابغ في العبرة من الصورة التي تراها هنا للمصور الروسي
فرشنجين الذي غرق في بور ارثور



انظر الى هذا الهرم من الجمجم وقد كسّط جلدها وعرق عظمها
وصهرتها الشمس وسحتها الرياح وبرتها عناصر الطبيعة وحامت فوقها
جوارح الفلا ونسور السماء وهي كل ما بقي على اثر معركة شربت فيها
الالوف كؤوس الختوف . وحسبُ القارئ ان يتصور ان هذا المنظر الهائل
قام مثله في بور ارثور وفي لياوينغ وفي موكدن ليشتمل له ذلك الهول الجسيم
وأى حرب في العالم اكنسب فيها المنتصر المجد والفخر ولم تكن
فضيلة في ذاتها وان تكن شريفة في المبدأ الدافع اليها . اننا لانوم الامة
التي تسفك دماءها وتبذل ابناءها وتنفق الاموال وتقتحم الالهوال
للدفاع عن وطنها واستقلالها ولكن اللوم كل اللوم بل الجرم العظيم

الفظيع انما هو لملك او سلطان يبذل الاموال والرجال ويشكل النساء ويؤتم الابناء لكلمة او نزوة طبع او طمع في بقعة من الارض في اواخر المعمور . ولقد طالعت احصاءً يدل دلالة ناصحة واضحة على ما فعله مطامع الافراد في نفوس العباد يؤخذ منه ان نابوليون غزاروسيا في سنة ١٨١٢ بجيش يبلغ ٧٠٠ الف رجل فلم يرجع منه سوى ٣٣ الفا كما يثبت التاريخ . وان انتصارات نابوليون افقدت فرنسا ثلاثة ملايين رجل وافقدت اوربا اربعة ملايين . وان حرب القرم ابتلعت ٨٠٠ الف رجل والتهمت معارك ايطاليا ٣٠٠ الف وابدت معارك روسيا والنمسا مثل هذا العدد واهلكت حرب فرنسا والمانيا في سنة سبعين ٨٠٠ الف وزهقت ارواح ٤٠٠ الف في الحرب الاخيرة بين الدولة العلية وروسيا وبلغت خسائر اوربا في حروبها الاستعمارية منذ فتح الهند الي فتح مدغسكر فقط ثلاثة ملايين نفس فاذا اضفت ما تقدم الي سائر الخسائر التي لحقت باوربا في القرن التاسع عشر الملقب بعصر التمدن والفلاح بلغت لا اقل من خمسة عشر مليوناً من النفوس والله اعلم كم تباع خسائر الروس واليابان في حرب لم يذكر التاريخ مثلاً . واليك الآن رواية قصها المصور الروسي المتقدم الذكر قال « ذهبت الي بليثنا بعد محاصرتها مدة ثلاثة اشهر لارى اخي العزيز بين القتلى فبحثت طويلاً فما وقع نظري الا على جماجم كاشرة مشوهة الهياكل مقلصة الجلود وهياكل من العظام مغطاة بقطع من الاسمال البالية وأيد كأنها تشير الي السماء ولم أتمكن من معرفة اخي بين تلك الجثث المتراكمة فاغرورقت عيناى بالدموع وتصاعدت من صدري الزفرات » اه .

وكانى به قد اتسع لديه نطاق الاخاء في ذلك الموقف الاليم حتى تساوى
عنده جميع القتلى وذاك الاخ الذي نزل وياؤه من صلب واحد

*
*

تلك هي احوال الحرب وذاك هو ثمن الانقلاب العظيم الذي يتوقعه
العالم بعد هبة الميكادو والله اعلم بما سيكون من بعده من الامور الكبيرة
والحوادث الخطيرة والله مقلب الليل والنهار وفي يده مقاليد الامور

—*—
الرسالة الشينية (*)

وهي التي كتب بها الامام ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري
الى الشيخ الامام شمس الشعراء طلحة بن احمد النعماني رحمهما الله تعالى . قال

بارشاد المنشى انشى

شَعْفِي^١ بالشَيْخِ شَمْسِ الشُّعْرَاءِ رَيْشٍ^٢ مَعَاشُهُ^٣ وَفَشَارِيَاشُهُ^٤ وَأَشْرَقَ
شَهَابُهُ^٥ وَأَعَشَوْشِبَ شِعَابُهُ^٦ يَشَا^٧ كُلَّ شَعْفِ الْمُنْتَشِي^٨ بِالنُّشُوءِ^٩ وَالْمُرْتَشِي^{١٠}
بِالرُّشُوءِ^{١١} وَالشَّادِنَ بِشَرِّ الشُّبَابِ^{١٢} وَالْعَطْشَانَ بِشَبِّهِمُ^{١٣} الشُّرَابِ^{١٤} وَشُكْرِي^{١٥}

(*) راجع الجزء السادس عشر صفحة ٤٩١ وما يليها ١ بمعنى شغفي
بالمعجمة وهو فرط الحب ٢ مجهول رايته اي اصلح حاله واعانه على معاشه
٣ فشا اي كثر وانتشر والرياش الخصب والمعاش والمال والاثاث ٤ يقال
اعشوشبت الارض اذا انبتت العشب . والشعاب جمع شعب بالكسر والمراد به هنا
الناحية والفناء ٥ الممتشي السكران والنشوة الاسم منه والحرف متعاقب بشعف .
وسائر الجرورات بعده معطوفة عليه ٦ الشادن الصغير الذي قد قوي وترعرع
واكثر ما يستعمل في اولاد الأطباء . وشرخ الشباب اوله ٧ بارد